

الإمام علي عليه السلام في شعر مهيار الديلمي

جعفر دلشاد^١، آزاده منتظري^٢

١. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية بجامعة أصفهان

٢. طالبة دكتوراه في قسم اللغة العربية بجامعة أصفهان

(تاريخ الاستلام: ٨٨/١/٢٢ : تاريخ القبول: ٨٨/٤/١٢)

الملخص

لقد احتلت شخصية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام منذ صدر الإسلام مكانة مرموقة في الأدب العربي وخاصة الأدب الإسلامي وعلى الخصوص الأدب الشيعي، هذا من جانب ومن جانب آخر فقد كانت هذه الشخصية موضع اهتمام أدباء غير العرب أيضاً، ومن أشهر هؤلاء هو مهيار الديلمي الفارسي الأصل الذي عاصر الدولة البويهية. لقد تناولت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي أشعار هذا الشاعر بعد أن اعتنق الدين الإسلامي وترك دين أسلافه الديانة المجوسية، فقد انصبَّ توجهه إلى مناقب الإمام علي عليه السلام وفضائله من جانب ومن جانب آخر نجد الشاعر يلمح بقضايا سياسية واجهها الإمام بعد وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم منها: موضوع الخلافة وواقعة الغدير. ووصلت المقالة إلى أن في أشعار مهيار دلالة واضحة على مدى اهتمام الشاعر وكذا ولأنه الخاص لأمير المؤمنين علي عليه السلام، لما كانت تحمله هذه الشخصية من صفات فذة ومنزلة لدى الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم، خاصة وكذا لدى المسلمين عامة.

الكلمات الرئيسية

الإمام علي عليه السلام، مهيار الديلمي، السقيفة، الخلفاء الراشدون.

مقدمة

إن الإمام علي عليه السلام بشخصيته المتميزة أصبح موضع اهتمام شعراء الشيعة عبر عصور متمادية سواء كانوا من الأصل العربي أو غيره، وإن القيام بهذا المهم لا يختص بشعراء العرب فحسب، بل هناك بعض الشعراء الشيعة الذين ينتمون إلى أصول فارسية، وقد أعربوا عن حبهم إزاء أهل البيت عليه السلام، منهم مهيار الديلمي الشاعر الفارسي الأصل الذي عاصر البويهيين.

ولقد شغف مهيار الديلمي بحب أهل البيت عليه السلام حتى قبل اعتناقه الإسلام، فقد مدح أمير المؤمنين وابنه الحسين عليه السلام، ورتاها قبل إسلامه بعامين سنة ٣٩٢ هـ بفائتيته المشهورة التي مطلعها:

يزور عن "حسنا" زورة خائف
تعرض طيف آخر الليل طائف

(الديلمي، ١٩٢٥، ج ٢، ص ٢٥٩)

والتي يقول فيها:

أبا "حسن" إن أنكروا الحق [واضحاً]
أخصك بالتمنييل! إلا لعلمه
نوى الغدر أقوام فخانوك بعده
على أنه والله إنكار عارف
بعجزهم عن بعض تلك المواقف
وما أنف في الغدر إلا كسالف

(م.ن، ص ٢٦١)

وهكذا يتبين لنا أن حب أهل البيت عليه السلام قد تأصل في قلب الشاعر قبل سنوات من إسلامه ومن أسباب ذلك:

إن مهيار كان فارسي العنصر ينتسب إلى أسرة ديلمية، والديلم كانت مركزاً لإحدى الدعوات الشيعية على يد الحسن بن زيد (ضيف، ١٩٨٠، ج ٥، ص ٥٠٩)، والتي رسخت الانتماء للشيع في نفوس الديلمية إلى حد بعيد.

ومنها: أن الشاعر قد ولد في فترة سيطرة البويهيين الشيعة على مقاليد الأمور والخلافة ببغداد. ومنها: اتصاله بالشريف الرضي، زعيم العلويين ونقيب الطالبين، وكان ذلك الاتصال ذا أثر كبير في عقيدته واتجاهه الفكري.

لقد تناول هذا البحث أشعار مهيار العلوية التي تبلغ أبياتها إلى مائة ونيف بيت وقد تطرّق خلالها إلى آراء الشاعر في مواجهة تلك القضايا التي تعرّضت للإمام علي عليه السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ أنه أشار الى موضوع الخلافة وواقعة الغدير، وكذا ذكر بعض ميزات شخصية الإمام عليه السلام المثالية في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فضلا عن بيانه لقضية مشاركة أمير المؤمنين علي عليه السلام في جميع حروب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما حدث في صدر الاسلام إزاء الكفار والمشركين.

حياة مهيار الديلمي

هو مهيار بن مرزويه الشاعر الكاتب الفارسي الديلمي البغدادي الشهير، ولد حوالي سنة ٢٦٤ للهجرة في الديلم جنوب "جيلان" على بحر قزوين في أسرةٍ وضيعةٍ نزحت في طلب الرزق إلى بغداد، وبغداد يومئذ خاضعة لنفوذ البويهيين (أنظر: موسى، ١٩٦١، ص ٢٢).
 قد نشأ مهيار في بغداد مجوسياً على دين آبائه وعنى أبوه بتعليمه العربية، فلما شبّ سكن في "درب رباح" أحد أحياء ناحية الكرخ ببغداد وهي منطقة عرفت بتجمع الشيعة الإمامية فيها (أنظر: ابن الجوزي، ١٩٩٢، ج ١٥، ص ٢٦٠)، حيث التحق كاتباً ومترجماً بالدواوين، وقد لزم الشريف الرضي الذي كان كريماً محبوباً فأثر في مهيار تأثيراً بالغاً في مذاهبه الشعرية والفكرية وكذا الدينية، إذ يرى بعض المؤرخين أن إسلامه كان على يديه سنة ٣٩٤ للهجرة كما تخرّج عليه في الأدب العربي.

توفي مهيار سنة ٤٢٨هـ وقد ترك ديواناً ضخماً في أربعة أجزاء يضم أكثر من عشرين ألف بيت، ممّا يضعه في مقدمة الشعراء الذين عرفوا بوفرة الإنتاج وكثرتهم (أنظر: أبو الفرج الاصفهاني، ١٩٨٦، ج ٧، ص ٢٤٩).

الإمام علي عليه السلام في شعر مهيار الديلمي

قد نظم مهيار حوالي مائتي بيت في أهل البيت عليه السلام ، وقد خصص مائة ونيف بيت منها في شأن الإمام علي عليه السلام .

لقد اعتنت هذه الدراسة بجميع الأبيات التي وردت في شأن الإمام علي عليه السلام ، إذ قمت بتصنيفها حسب الموضوعات وهي كالآتي:

الإمام علي عليه السلام وموضوع السقيفة

تعتقد الشيعة أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقبض حتى أوصى إلى من يقوم بأمره بعده، ولم يترك أمته هملًا، كما يعتقدون أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يخرج من الدنيا حتى نص بالخلافة على علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد قال فيه يوم غدیر خم: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»، إذ قال له عمر: «بخ بخ لك يا علي، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة» (الأميني النجفي، ١٩٧٧، ج ١، ص ٨٩).

وأما أهل السنة فإنهم لا يوافقون الشيعة في اعتقادهم، زاعمين «أن الله اختار للنبي صلى الله عليه وآله ما عنده [كناية عن وفاة النبي] فخلّى عن الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم» (الدينوري، ١٤١٣، ج ١، ص ٣٢).

وقد تطرّق مهبّار إلى هذه القضية في إحدى قصائده قائلاً:

مُطَاعاً فَيُعْصَى وَمَا غُسَّلاً	أَللّٰهُ يَا قَوْمُ يَقْضِي "النَّبِيَّ"
هـ فِي تَرْكِهِ دَيْنَهُ مُهْمَلًا	وَيُوصِي فَتُخْرُصُ دَعْوَى عَلِيٍّ
وَيُنْبِيكَ "سَعْدٌ" بِمَا أَشْكَلَا	وَيَجْتَمِعُونَ عَلَى زَعْمِهِمْ
ت مَفْضُولُهُمْ يَقْدُمُ الْأَفْضَلَا	فَيُعْتَقِبُ إِجْمَاعُهُمْ أَنْ يَبِيَّ

(الديلمي، ١٩٢٥، ج ٣، ص ٥٠)

ويشير الشاعر - هنا - إلى عدم إطاعة أكثر المسلمين يومها أمر الرسول صلى الله عليه وآله في خلافة علي عليه السلام، فاجتمعوا في السقيفة قبل أن يتمّ تغسيل الجسد الشريف للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وقد أرادوا بهذا الاجتماع أن يعينوا له وصياً، وكأنه إجماع من الأمة على تقديم المفضل على الأفضل، وقد نوّه سعد بن عباد زعيم الأنصار بها.

وفي الأبيات التالية يطعن الشاعر في هؤلاء القوم الذين اجتمعوا في السقيفة وبايعوا أبا بكر، وقد جعلوا الإجماع حجّتهم في هذا الاختيار، بينما الأمر كان واضحاً أشدّ الوضوح، وقد بلغ النص من الصراحة مبلغاً لا تشوبه أية شبهة حتى يستدعي اللجوء إلى اجتماع وإجماع، وحتى هذا الإجماع على فرض التسليم به كوسيلة فإنه لم تتوفر فيه الشروط الصحيحة ومنها عدم اتفاق كافة المسلمين على هذا الاختيار ذاكراً أهمّ من لم يشترك فيه ومن امتنع حتى بعد الإجماع، كعلي عليه السلام والعباس عمّ النبي وزعماء الأنصار (المظفر، ١٣٨٩، ص ٣٣).

وفيم صيرتم الإجماع حجّتكم
أمر "علي" بعيد من مشورته
وتدعيه "قريش" بالقرابة والـ
فأيُّ خُلفٍ كخُلفٍ كان بينكم
والناسُ ما اتّفقوا طوعاً ولا اجتمعوا
مُسْتَكْرَهٌ فيه "العبّاس" يمتنعُ
أنصارُ لا رُقِعَ فيها ولا وُضِعَ
لولا تَلَفُقُ أخبارٍ وتَصَطُّعُ

(الديلمي، ١٩٢٥، ج ٢، ص ١٨٣)

ويخاطب أمير المؤمنين علي عليه السلام في قصيدة أخرى مبدياً رأيه فيما قام به القوم قائلاً:

ما "لقريش" ما ذقتك عهداً
وطالبتكَ عن قديم غلّها
وكيف ضمّوا أمرهم واجتمعوا
فاستوزروا الرأي وأنت مُعِزَّلُ
ودامجتك ودّها على دحل^١
بعد أخيك بالترّاتِ والدحل^٢
فاستوزروا الرأي وأنت مُعِزَّلُ^٣

(م.ن، ج ٣، صص ١١٢-١١٣)

ويبدو من هذه الأبيات الثلاثة أن الشاعر يربط موضوع السقيفة وما وقع فيها بأحقاد قديمة كانت تضمها قلوب قريش حتى أظهرها في ذلك اليوم، وربما أنه ألمح تلميحاً إلى ما خاطب النبي ﷺ علياً قائلاً: «ضعائن في صدور أقوام لا يبدونها لك إلا من بعد أحقاد بدر وترات أحد» (الكوفي، د.ت، ص ٧٣).

ويحتجّ الشاعر في أبيات أخرى على إثبات أحقية الإمام علي عليه السلام بالخلافة مستنداً إلى الروايات الماثورة عن واقعة "غدیر خم" وهو يسأل قريشاً قائلاً:

واسألهم "يوم خم" بعد ما عقدوا
قولٌ صحيحٌ ونياتٌ بها نفلٌ
إنكارهم يا أمير المؤمنين لها
ونكتهم بك ميلاً عن وصيتهم
له الولاية لم خانوا ولم خلعوا
لا ينفع السيف صقلٌ تحته طبعٌ^٤
بعد اعترافهم عارٌ به أدرعوا^٥
شرعٌ لعمرك ثانٍ بعده شرعوا^٦

١. ماذقتك: شابت ودّها ولم تخلص/ الدخل: الخُداع والغش.

٢. طالبة بحقه مطالبة وطلاباً: طلبه منه / الغلّ: الحقد / الترات: جمع ثرة وهي الثأر / الدحل: الثأر أو الحقد والعداوة.

٣. استوزره: جعله وزيراً.

٤. نفل: الضغن وسوء النية / الطبع: الصدا.

٥. أدرعوا: لبسوا الدرع.

٦. نكت العهد أو اليمين أو البيعة: نبذها / الشرع: الطريق.

(الديلمي، ج٢، صص ١٨٣-١٨٤)

فذلك العهد الذي نصّ على خلافة علي عليه السلام يوم غدِير خم نساها أو تناساه كثير من المسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وإنهم تظاهروا بالقبول والطاعة لأمر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بتنصيب علي عليه السلام في حين كانوا يضمرون في قلوبهم نوايا خاصة واغتصاب حق علي عليه السلام، كأنهم سيف صقيل يخفي تحته صدأً وما انتهى نكثهم بهذا بل إنهم شرعوا بأعمال أخرى من ظلم وجور وعدوان.

وقد قال أحمد نسيم المصري، شارح الديوان في تعريفه لـ "غدِير خم": "هو غدِير خم بين مكة والمدينة، قيل إن النبي صلى الله عليه وآله خطب الناس عنده فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» (الديوان، ج٢، ص١٨٢).

وقد ردّ عليه العلامة الأميني، صاحب كتاب الغدير بأن الاتيان بكلمة «قيل» يدل على ضعف الحديث وليت شعري هل خفي على الأستاذ تواتر ذلك الحديث المروي عن مائة صحابي، أم حيدته نزاعاته الطائفية أن يستر الحقيقة على القارئ وغيره (أنظر: الأميني النجفي، ١٩٧٧، ج٤، ص٢٣٤).

وقد كرر مهيار ما تناقلته الشيعة حول بيعة الغدير، وكيف أن الذين حضروا البيعة أنكروها، والمراد قريشاً وأصحاب الرسول صلى الله عليه وآله فهو يقول:

ألا سَلَّ قريشاً ولم منهم	من استوجب اللوم أو قُتد
وقل: ما لكم بعد طول الضلّ	ل لم تشكروا نعمة المرشد
أتاكم على فترة فاستقام	بكم جائرين عن المقصد
ووئى حميداً إلى ربّه	ومن سنّ ما سنّه يُحمد
وقد جعل الأمر من بعده	"لحيدر" بالخبر المسند
وسمّاه مولى بإقرار من	لو أتبع الحق لم يجحد
فعلتم بها حسداً الفضل عنه	ومن يك خيراً الورى يحسد

(الديلمي، ج١، ص٢٩٩)

يلوم الشاعر - هنا - قريشاً لعدم اهتمامهم بوصية النبي صلى الله عليه وآله في أحقية الإمام علي عليه السلام بالخلافة بعد وفاته ولو كانوا يقدرّون الموقف مما قدّمه لهم الرسول صلى الله عليه وآله لقاموا بأداء ذلك وردّ جميلٍ عمّا تحمّله النبي صلى الله عليه وآله من المشاق والمتاعب في سبيل هدايتهم وإرشادهم إلى

الصراط المستقيم وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

وأخيراً يقرر الشاعر في هذه القضية أن حق الخلافة - إذا سلمنا به كميراث كما ادعى القوم - فإن أصحابه الشرعيين سيكونون علياً وأبناءه عليه السلام قائلاً:

وارثٌ "علي" لأولاده إذا آية الإِثْرِ لم تُفسدِ

(الديلمي، ج ١، ص ٢٩٩)

مناقب الإمام علي عليه السلام

إن مهيار الديلمي يأتي في الأبيات التالية بأدلة أخرى للتأكيد على أحقية علي عليه السلام للخلافة، وهو يفرض صحة إنكارهم لواقعة غدِير خَم، ويحتج بمناقب الإمام عليه السلام البارزة في ترسيخ دعائم الرسالة المحمدية في زمن النبي ﷺ وبعدها:

وهَبِ "الغدِير" أبوا عليه قبوله "بدرًا" و"أحدًا" أختها من بعدها والصخرة الصمَّاء أخفى تحتها وتدبروا خبر اليهود "بخيبر" هل كان ذاك الحصن يُرهب هادماً وتفكروا في أمر "عمرو" أولاً أسدان كانا من فرائس سيفه ورجال "ضبة" عاقدي حجراتهم ضُغَموا بناب واحد ولطالما از ولخطب "صفين" أجلُّ وعندك الـ لم يعتصم بالمكر إلا عالماً خَلَع الأمانة فارتدى بمعرة	نهياً؟ فقل عدواً سواء مساعيا و"حنين" وقاراً بهنّ فصالياً ماءً وغير يديه لم يك ساقيا وارضوا "بمرحَب" وهو خصم قاضيا أو كان ذاك الباب يفرق داحياً ^٢ وتفكروا في أمر "عمرو" ثانياً ولقلّما هابا سواء مُدانياً يوم "البُصيرة" من "معين" تفتانياً ^٣ دردوا أراقم قلبها وأفاعياً ^٤ خبر اليقين إذا سألت "معاوية" أن ليس إن صدق الكريهة ناجياً وسمّت جباه التابعين مخازياً ^٥
--	--

١. وقاراً: شاداً بلجام الدابة لتسكن، صالحاً: صال عليه؛ سطا عليه ليقهره.

٢. الداحي: الدافع.

٣. الحجرات: واحدة: الحجزة، وهي موضع شدّ الأزار من الوسط / معين: اسم مدينة باليمن أو هو حصن بها / تفتانى القوم: افنى بعضهم بعضاً في الحرب.

٤. ضغَموا: عضواً بملء الفم.

٥. المعرة: الإثم، العيب المكروه.

وأحُقُّ بالتمييز عند "محمَّد" من كان سامي منكبِهِ راقياً^١
وأبرهُم مَن كان عنه موقياً^٢ حوباءهُ فوق الفراش وفادياً

(م.ن، ج٤، صص ٢٠٠-٢٠١)

وقد قال الأستاذ أحمد نسيم مصري شارح ديوان مهيار الديلمي في شرح كلمة "النهى" الموجودة في البيت الأول «النهى: الغدير أو شبهه وللإمام علي عليه السلام وقعة تسمى بوقعة غدير خم والشاعر يشير إليها» (الديلمي، ١٩٢٥، ج٤، ص ٢٠٠). وقد عاب عليه العلامة الأميني - صاحب موسوعة الغدير الشهيرة - بأن الشارح قد بدل «البغي» الموجودة في مخطوط ديوان الشاعر بـ"النهى" وقد قصد منه وقعة غدير خم ويؤاخذ العلامة بأن مهيار الشاعر المتطلع الفحل كيف قد أراد من "البغي" "النهى"! وما ذكرت هذه الوقعة من قبل مؤرخي الحروب المذكورة في تاريخ حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعدها! (الأميني النجفي، ١٩٧٧، ج٢، صص ٢٢٧-٢٢٨).

وكثير من مناقب الامام علي عليه السلام المذكورة في شعر مهيار، قد وردت في المصادر التاريخية القديمة ونشير إليها على ترتيب ما جاء به الشاعر في هذه الأبيات.

في يوم بدر قتل الإمام علي عليه السلام - وكان أصغر القوم سناً - كثيراً من أبطال قريش في معركة حاسمة في تاريخ الإسلام ومن أشهرهم الوليد بن عتبة بن ربيعة (الواقدي، ١٣٠٩، ج١، ص ٢٢٦). وهذه المفخرة إحدى من المفاخر الكثيرة التي سجلها الإمام علي عليه السلام على صفحات التاريخ الإنساني.

وفي يوم أحد قُتل حامل لواء المشركين طلحة بن أبي طلحة بن العزى بن عثمان بيد علي عليه السلام (م.ن، ج١، ص ٦٩).

وأما في يوم حنين قد جاء في التاريخ أنه قتل الإمام علي عليه السلام أبا جرول - رجلاً من هوازن - وانهزم المشركون إثر قتله (المفيد، ١٣٤٦، ج١، صص ١٢٩-١٣٠).

والبيت الثالث يلمح إلى ما روي عن علي عليه السلام لما كان متوجهاً إلى صفين، لحق أصحابه عطشاً شديداً فإذا براهب في صومعته فسأله عن موضع الماء فأجابهم بأن الماء ليحمل علينا من قريب من فرسخين فتركوه وأقبل علي عليه السلام إلى موضع ثم أشار إلى مكان منه وقال احضروا هنا فحضروا قليلاً فظهرت لهم صخرة عظيمة تلمع فاجتهدوا في قلعها اجتهداً

١. منكب: مجتمع رأس العضد والكتف.

٢. الحوباء: النفس / وفد على القوم: قدم وورد رسولاً.

عظيماً، ولم يقدروا لها فنزل علي عن فرسه ثم دنا من الصخرة وقال بسم الله ثم رفعها فإذا بعين من الماء لم ير الناس أعذب منها ولا أصفى، فشرب القوم ثم أعاد الصخرة إلى موضعها وأمر أن يعفى أثرها بالتراب، فاطلع الراهب على تلك العين، وقال: ما استخراجها إلا نبي أو وصي ولقد شرب منها سبعون نبياً وسبعون وصياً وأسلم الراهب على يد الإمام علي عليه السلام وصاحب الإمام حتى صار إلى صفين وقاتل فقتل (الكوفي، ١٩٨٦، ج ١، ص ٥٧٧).

وفي البيتين التاليين يشير الشاعر إلى خروج الإمام علي عليه السلام يوم وقعة خيبر «فلما دنا من الحصن ضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول علي باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ فاجتمع ثمانية من أصحابه وحاولوا أن يقلبوا الباب فما استطاعوا» (الطبري، ١٨٧٩، ج ٢، ص ٣٠١). و«مرحب» المذكور في الشطر الثاني هو رجل يهودي - صاحب حصن خيبر - جمع سلاحه وخرج من الحصن يرتجز:

قد علمت خيبر أنني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

فقال علي عليه السلام :

أنا الذي سمّنتني أمي حيدرّة أكيلكم بالسيف كيل السندرة

ليثٌ بغاباتٍ شديد قسورة

فضربه الإمام حيث قد المغفر رأسه، وفتح الحصن بأيدي المسلمين (الطبري، ١٨٧٩، ج ٢، ص ٣٠١).

وفي البيت السادس أراد من "عمرو" عمرو بن عبد ود وهو أحد أبطال العرب الذي قتله الإمام في وقعة الخندق (الطبري، ١٨٧٩، ج ٢، ص ٢٤٠). ثم يشير الشاعر إلى قصة عمرو بن العاص في معركة صفين عند قتاله علياً عليه السلام فلما أحس بهلاكه كشف عن سواته فنحى علي عنه وجهه فهرب (الدينوري، ١٩٩٠، ج ١، ص ١٢٧).

وقد أشار إلى ذلك أبو فراس الحمداني في قوله:

ولا خير في دفع الردى بمذلة كما ردها يوماً بسواته عمرو

(الحمداني، ١٩٩٤، ص ١٦٥)

وأما في يوم الجمل حيث أن الإمام علي عليه السلام هزم بني ضبة - قبيلة جاءت من اليمن - وهم كانوا على أتم الاستعداد للحرب وقد كانوا قبل ذلك احتقروا معاديهم وخصومهم في معارك

عديدة (اعثم الكوفي، ١٩٨٦، ج ١، ص ٤٨٤)، وهو ما أشار له الشاعر في البيتين الثامن والتاسع. ثم في الأبيات الثلاثة التالية، يعرض الشاعر للخدمة الكبرى التي لجأ إليها معاوية في معركة صفين كي لا يتحقق الانتصار لعلي عليه السلام فرفع المصاحف طالباً جعلها حكماً بين المسلمين (الطبري، ١٨٧٩، ج ٢، ص ٣٤).

وفي البيت الثالث عشر إشارة إلى يوم فتح مكة لما علا علي عليه السلام منكبي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهدم الأصنام التي كانت حول الكعبة (الطبرسي، ١٩٨٣، ج ١، ص ١٢٧). وفي البيت الأخير إشارة إلى «ليلة المبيت» وهي تلك الليلة التي نام الإمام عليه السلام في فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكي يتمكن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الهجرة السرية من مكة إلى المدينة، ويمنع قريش من قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم (المفيد، ١٣٤٦، ج ١، صص ٤٣-٤٤).

ثم يقول الشاعر في موضع آخر من ديوانه:

ووارثُ العلمِ وصاحبُ الرسلِ	الصنوّ أنت والوصيُّ دونهم
لِوَمَنْ كَلَّمَهُ قَبْلَكَ صِلْ؟!	وَأَكُلِ الطَّائِرَ وَالطَّارِدَ لِلصِّ
مَنْهَلٍ فِي يَوْمِ القَلْبِ والمَعْلِ	وَخَاصِفِ النَعْلِ وَذو الخَاتَمِ والـ
"يَوْمِ الحَنِينِ" وَهُوَ حَكْمٌ مَا فَصَلَ	وفاصلُ القُضِيَةِ العَسْرَاءِ فِي
تَشَعَّبَ الأَبَابُ فِيهِ وَتَضَلَّ	ورجعةُ الشَّمْسِ عَلَيْكَ نَبأ

(الديلمي، ج ٣، ص ١١٥)

يذكر الشاعر في هذه الأبيات بعض مناقب علي عليه السلام الذي تفرّد بها الإمام ولا يشاركه فيها أيّ أحد، ومنها أنه وصي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ووارث علمه مستنداً إلى قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «خازن سري علي» (الاعلمي، ١٩٨٨م، ص ٣٤٤)، وحديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها» (ابن المغازلي، ١٩٩٢، ص ١١٦). و«أكل الطائر»، إشارة إلى ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا والطير المشوي عنده يريد أكله بقوله: «اللهم ائتني بأحبّ الخلق إليّ وإليك يأكل معي من هذا الطير» فلم يأت به غير علي عليه السلام (الطبرسي، ١٩٨٢م، ج ١، ص ١٢٤)، ثم يلح مهيار إلى قضية الأفعى التي ظهرت في المسجد فكلمها الإمام وأخرجها من المسجد (ابن شهر اشوب، ١٩٨٥م، ج ٣، ص ٢٨٢).

١. الصل: الثعبان.

٢. انهل العطشان: سقاه حتى روي / القلبيب: البئر / علّ فلاناً: سقاه السقية الثانية.

وأما رواية "خاصف النعل" فقد جاء أن النبي ﷺ قال يوم الحديبية: «يا معشر قريش لتنتهوا أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم على الدين امتحن الله قلبه بالإيمان. قالوا: من هو يا رسول الله؟ قال هو خاصف النعل»، وكان أعطى علياً نعله يخصفها (ابن شهر اشوب، ١٩٨٥، ج ٣، ص ٤٤).

و"ذو الخاتم" إشارة إلى تصدق الإمام علي عليه السلام بخاتمه وهو راکع في الصلاة (ابن جبرائيل، دت، ص ٧١). وقد نزلت في شأنه هذه الآية المباركة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة/٥٥).

و"يوم القليب" تلميح إلى ما أصاب المسلمين من عطش شديد في عمرة الحديبية، ولم يجدوا بها ماء وكل من بعثه النبي للإتيان بالماء لم يتمكن منه لشدة الرعب فدعا الرسول علياً ﷺ فأرسله بالروايا حتى ورد الماء واستقى ثم أقبل بها إلى النبي ودعا له الرسول ﷺ بخير (المفيد، ١٣٤٦، ج ١، صص ١٠٨-١٠٩).

وأما "رجعة الشمس" في البيت الأخير فهي رواية نقلها ابن شهر آشوب عن الكليني إذ أن الشمس ردتّ مرتين للإمام واحدة منها في حياة الرسول ﷺ وأخرى بعد وفاته (ابن جبرائيل، دت، ص ٦٨).

ويقول مهيار في موضع آخر:

وأبوكم المفضى إليه جدكم
ما كان من موسى إلى هارون

(الديلمي، ج ٤، ص ١٢١)

وفي ذلك إشارة إلى خطاب الرسول ﷺ للإمام علي عليه السلام قبل غزوة تبوك: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى" (ابن المغازلي، ١٩٩٢، ص ٧٩).

فقد أشار مهيار الديلمي إلى بعض المناقب والمفاخر المروية عن الإمام علي عليه السلام في المصادر التاريخية والدينية واستند عليها كأدلة في إثبات أحقية الإمام علي عليه السلام بالخلافة.

الإمام علي عليه السلام والخلفاء الثلاثة

يعتبر مهيار الديلمي قضية الخلافة وحرمان الإمام علي عليه السلام من ولاية أمر المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ سبباً في مقتل الحسين عليه السلام فيقول:

سلامٌ على الإسلام بعدك أنهم
وجددها "بالطف" بابنك عصبية

يسومونه بالجور خبطة خاسف^١
أباحوا لذاك القرف حكة قارف^٢

(الدليمي، ج ٢، ص ٢٦١)

ويقول في موضع آخر:

"أمية" لابسة عارها
فيوم "السقيفة" يابن النبي
وغضب أيبك على حقه

أو إن خفي الثأر أو حصلا
سي طرق يومك في "كربلا"
وأملك حسن أن تقتلا

(م.ن، ج ٣، ص ١٥٠)

يرى الشاعر أن يوم السقيفة قد تكرر في واقعة "الطف" بأيدي الظالمين حيث اغتصبوا حق الإمام الحسين عليه السلام في الخلافة كما حرم أبوه - الإمام علي عليه السلام - من حقه، وإن مهيار لا يرى عملهم هذا أمراً مبتدعاً حديثاً بل إنهم أتبعوا طريق الخلفاء الثلاثة في غضب حق علي عليه السلام في الخلافة ويضع مسؤولية استشهاد الحسين بن علي عليه السلام على كاهل الخلفاء الثلاثة قائلاً:

وما الخبيثان "ابن هند" * وابنه
بمبدعين في الذي جاء به

وإن طغى خطبهما بعد وجل
وأنما تقفيا تلك السبل

(م.ن، ج ٣، ص ١١٥)

وفي موضع آخر:

وما "آل حرب" جنوا إنمّا

أعادوا الضلال على من بُدي

(م.ن، ج ١، ص ٣٠٠)

فمهيار في عرضه التاريخي يتعرض للخلفاء الثلاثة أكثر من تعرضه لآل أمية، فإنهم برأيه هم الذين بدءوا بإقامة الضلال والانحراف عن جادة الحق واغتصبوا حق الامام عليه السلام المشروع في الخلافة ثم اتبعهم بنو أمية وفعلوا بالحسين عليه السلام في واقعة "الطف" نظير ما فعله الخلفاء السابقون بالنسبة إلى أبيه الإمام علي عليه السلام فغضبوا حقهما: الوالد والولد.

١. خسف فلاناً: أذله وحمله ما يكره.

٢. الطّف: شاطئ الفرات الذي قتل به الحسين عليه السلام / القرف: البغي.

* ابن هند: هو معاوية بن أبي سفيان سمي هنا باسم أمه وابنه يزيد.

ويؤكد مهيار على أفضلية الإمام على الخلفاء الذين سبقوه إذ يقول في إحدى قصائده:

وقائل لي "علي" كان وارثه	بالتصّ منه، فهل أعطوه أم منعوا؟
فقلتُ كانت هنأتُ لستُ أذكرها	يجزي بها الله أقواماً بما صنَعوا ^١
أبلغ رجالاً إذا سميتهم عرفوا	لهم وجوه من الشحاء تمّتَع ^٢
توافقوا وقتاة الدين مائلة	فحين قامت تلاحوا فيه واقترعوا ^٣
أطاع أولهم في الغدر ثانيهم	وجاء ثالثهم يقفوا ويتبع
فقا على نظري في الحق نفضه	والعقل يفصل والمحجوج ينقطع
بأي حكم بنوه يتبعونكم	وفخركم أنكم صُحِبَ له تبّع
وكيف ضاقت على الأهلين تربته	وللأجانب من جنبيه مضطجع ^٤

(الديلمي، ج ٢، صص ١٨٢-١٨٣)

وهنا يشير الشاعر إلى قضية الخلافة والتي يمكننا أن نقلها عن لسان علي عليه السلام في الخطبة الشقشقية (نهج البلاغة، الخطبة الثالثة):

أما والله لقد تقمصها فلان وإنه ليعلم أنّ محلي منها محل القطب من الرحي..... فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهبا..... حتى مضى الأول لسبيله، ثم أدلى بها إلى الثاني من بعده..... فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم، فيا لله وللشورى!..... الى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الأبل نبتة الربيع.^٥

ويستعيد الشاعر هذه القضايا في الأبيات التالية التي يخاطب بها النبي محمد صلى الله عليه وآله قائلاً:

قضيت فأرمضنا ما قضيت	وشرعك قد تمّ واستكمل ^٥
فراهم ابن عمك فيما سنن	ست أن يتقبّل أو يمثلاً ^٦
فخانك فيه من الغادري	من من غير الحق أو بدلاً

١. الهناة: الداهية: (ج) هنوات وكناية عن الرجل يقال يا هناة أقبل.
٢. الشحاء: الحقد والعداوة والبغضاء / تمتع: امتنع لونه: تغير من حزن أو فزع أو مرض.
٣. تلاحوا: (تلاحى) الرجلان: تنازعا وتشاتما / اقترعوا على شيء: ضربوا القرعة.
٤. نافجاً حضنيه: رافعاً لهما، يقال للمتكبر/ النثيل: الروث وقدر الدواب/معتلف: موضع العلف / الخضم: أكل الشيء الرطب.
٥. ارمضنا: أحرقتنا غيظاً.
٦. مثل الرجل بين يدي فلان: قام بين يديه منتصباً.

إلى أن تحلّت بها "تيمها"
ولما سرى أمر "تيم" أطا
ومدّت "أميّة" أعناقها
وأضحّت "بنو هاشم" عطّلا
ل بيت "عدي" لها الأحبال^١
وقد هُونَ الخطبُ واستسهلا

(الديلمي، ج ٣، ص ٥١)

يوضّح الشّاعر من خلال هذه الأبيات أن الخلافة التي كانت أمراً مفروضاً عليّ عليه السلام، قد سلبت منه ومن بني هاشم بغير الحق، واغتصبها لأول مرة "أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة من تيم قريش" (الصفدي، ١٩٩١، ج ٢٢، ص ٤٥٩) حتى مضى لسبيله فأدلى بها إلى "عمر بن الخطاب بن نوفل... بن عدي بن كعب بن لؤي" (ابن خلكان، ١٩٧٧، ج ٣)، وما لبث أن نقلها بحيلة إلى "عثمان بن عفان بن غالب القرشي الأموي" (السيوطي، ١٩٨٨، ص ١٧٥). وهكذا قد هُونَ خطب الخلافة واستسهلت حتى وصلت لبني أمية وفيّ تعبير الشاعر بـ (مدت أعناقها) بلاغة جميلة متناسبة مع البيت السابق في (أطال بنو عدي لها الأحبال).

وما اكتفى مهيار في الحديث عن الخلفاء بهذا القدر بل وسّع في الكلام مخاطباً الإمام علياً عليه السلام:

وصاحب الشورى لما ذاك ترى
والأموي ما له أخركم
وردها عجماء "كسروية"^{*}
كذاك حتى أنكروا مكانه
عنك وقد ضايقه الموت عدل
وخصّ قوماً بالعطاء والنمل^٢
يضع فيها الدين حفظاً للدول
وهم عليك قدّموه فقيل

(الديلمي، ج ٣، ص ١١٣)

أو يقول:

فقال "ابن عفان" ما لم يكن
فقر وأنعم عيش يكو
وقلبها "أردشيرية"^{*}
يظن، وما نال بل نُولا
ن من قبله خشناً قاتلاً^٣
فحرق فيها بما أشعلا

١. حبل (مصدر حبل): تكوّن الولد في بطن أمه وحبل: الأنثى الحامل. ج حبالى.

* الملك كسرى الأول، المعروف بأنوشروان (الروح الخالدة)، هو من أشهر ملوك الفرس الساسانيين.

٢. النمل: الغنيمة والهبة.

* أردشير: المؤسس الحقيقي للدولة الساسانية عام ٢٢٦ الميلاد.

٣. قاتل الشيء قتلته وقلقالاً فتقلقل وقلقالاً: حرّكه فتحرك واضطرب والقلقل: غير القار.

وساروا فساقوه أو أوردوه حياض الردى منهلاً منهلاً

(م.ن، ج ٣، ص ٥١)

فمن البيت الأول يشير الشاعر إلى الخليفة عمر، وهو على فراش الموت، قد جعل الخلافة شورى في ستة من أصحاب رسول الله ﷺ وهم عثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيدالله، والزيبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وجعل ابن عوف مرجحاً للكفة بمكيدة مدبرة فكان اختيارهم عثمان (الطبري، ١٨٧٩، ج ٣، ص ٢٩٢). وهذا القول المختصر للشاعر عندما يقول "وما نال بل نولاً" دلالة وافية على هذا الأمر. ولم يلبث عثمان حكمه طويلاً حتى عدل عن حدود الإسلام وسنة النبي ﷺ، وأسرف في صرف بيت المال، واختصه لبني أبيه وأقربائه - بعد أن كانوا يعيشون عيشة ضنكة - فعدل عثمان عن المبادئ الإسلامية المبنية على بساطة المعاش، فيرى مهيار الديلمي هذا الحكم أقرب إلى الحكم الإمبراطوري في الدولة الساسانية الإيرانية من الحكم الإسلامي وسمّاه "أردشيرية" أو "كسروية". في البيتين الثالث والسابع نسبة إلى الحكم الوراثي. وهو ما أدى إلى أن يثور المسلمون عليه، فاشتعلت الثورة عليه، اشتعالاً أدى إلى قتله في سنة خمس وثلاثين للهجرة (م.ن، ص ٣٩٩)، إلى أن فوّض الحكم إلى الإمام علي عليه السلام من قبل جميع الثوار والمسلمين وبايعوه بيعة عامة.

خلافة الإمام علي عليه السلام

وهناك سؤال: ما فعل الإمام علي عليه السلام إزاء هذه العداوة؟ هل قاومها أو تنازل عن حقه؟

فيجيب مهيار عن هذا السؤال في خطابه لأmir المؤمنين علي عليه السلام:

إنكارهم يا أمير المؤمنين لها	بعد اعترافهم عاراً به ادّرعوا
ونكثهم بك ميلاً عن وصيتهم	شرعٌ لعمرك ثانٍ بعده شرعوا
تركت أمراً ولو طالبتَه لدرت	معاطسٌ راغمتَه كيف تجتدع ^١
صبرت تحفظ أمر الله ما اطرحوا	ذباً عن الدين فاستيقظت إذ [هَجَعوا] ^٢
ليشرقن بحلو اليوم مُرَّ غد	إذا حصدت لهم في الحشر ما زرعوا

(الديلمي، ج ٢، ص ١٨٢)

١. معاطس: واحده معطس: الانف / راغمته: راغم فلانا: هجره وعاداه.

٢. اطرحه: طرحه: القاه / هجع: نام ليلاً.

ترك الإمام علي عليه السلام حقّه أمام الطفيلان والتفاف كل قريش عليه حفظاً لدين الله كما أشار الشاعر في البيت الرابع وصبر أمام جور الجائرين حتى يحافظ على كيان الاسلام ويدفع عنه دسائس الأعداء فإن الحق سيظهر في يوم القيامة وسيجزى الناس بما عملوا وزرعوا في الدنيا.

ما أسرف مهيار في تبين موقف الإمام فإنه قد روي بأن أبا بكر لما تمت البيعة له، «أقام ثلاثة أيام يقيل الناس ويستقبلهم»، يقول قد أقتكم في بيعتي، هل من كاره؟ هل من مبغض؟ فيقوم علي عليه السلام في أول الناس فيقول: واللّه لا نقتك ولا نستقبلك أبداً...» (الدينوري، ١٤١٣، ج ١، ص ٣٢). وقد أشار مهيار إلى هذه القضية قائلاً:

لهم ثم بُدِّلوا فاستحالوا ^١	ودعاة الله استجابت رجالاً
را تخفُ الجبال وهي ثقُالُ	حملوها يوم "السقيفة" أوزا
نَ وهيهات عثرةٌ لا تُقالُ!	ثم جاوؤا من بعدها يستقبلو

(الدليمي، ج ٣، ص ١٦)

تحدثنا عن الخلفاء: أبي بكر، عمر وعثمان حتى وصلنا إلى فترة خلافة علي عليه السلام في سنة خمس وثلاثين للهجرة فبايعته المدينة، ولكن هذه البيعة لم ترض طلحة والزبير، وانضمت إليهما عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأعلنوا سخطهم، وولّوا وجوههم نحو البصرة يجمعون الناس ضده فتبعهم علي عليه السلام، ونزل في الكوفة، نشبت الحرب بين الفريقين في موقعة الجمل المشهورة بالبصرة، وانتصر علي عليه السلام فيها، وقُتل طلحة والزبير وانسحبت عائشة إلى المدينة (شوقي ضيف، ١٩٨٣، ص ٥٩).

فإن أمير المؤمنين علي عليه السلام لما تولّى الحكم قضى بين الناس بالعدل وكان هذا الأمر صعباً لا يطاق لفئة من المسلمين، وأصبح من بواعث نشوب هذه المعركة:

ثم قسمت بالسّواءِ بينهم
فَعَطَّم الخُطْبُ عليهم وثُقُل

(الدليمي، ج ٣، صص ١١٣-١١٤)

١. استحال الشيء: تحول وتغيّر.

٢. استقال: طلب ان يقال / اقال عثرته: صفح عنه وتجاوز.

وهذا يشابه قوله في خطابه للنبي ﷺ :

ولما امتطاهما "علي" أخو ك ردّ إلى الحقّ فاستتقلا

(م.ن، ج ٣، ص ٥١)

ثم يقول:

فشُحِدَتْ تلك الطُّبَا وحُفِرَتْ	تلك الزُّبَى وأُضْرِمَتْ تلك الشُّعَلُ ^١
مواقِفٌ في الغدر يكفِي سُبَّةً	منها وعاراً لهم "يومُ الجَمَل" ^٢
يا ليت شعري عن أكفُّ أرهَفَتْ	لك المواضي وانتَحَتِكَ بالذُّبَلِ ^٣
واحتطَبَتْ تبغِيكَ بالشُّرِّ، على	أي اعتذارٍ في المعاد تتكَلُّ ^٤
أنسِيَتْ صفقتَها أمسٍ على	يديك أَلَّا غَيْرٌ ولا بَدَلٌ ^٥

(الديلمي، ج ٣، صص ١١٣-١١٤)

فيتحدث مهيار في هذه الابيات عن كمال استعداد أصحاب الجمل للحرب، وما يري عملهم هذا الا عاراً وسبّةً لهم. ثم يخاطب في الأبيات التالية الإمام علي عليه السلام ويسأله عن تلك الأيادي التي شحذت السيوف للقتال وتمسكت بالرماح ابتغاء الشر ونسيت بيعتها لعلي عليه السلام ويتمني الشاعر بأن يدري ما هو اعتذارها في يوم القيامة لهذا النكث.

وعن حصان أبرزت يُكشَفُ باس	تخراجها سترُ النبيّ المُسَدَّلِ ^٥
تطلب أمراً لم يكن ينصره	بمثلاها في الحرب إلّا من خذل

(م.ن، ج ٣، ص ١١٤)

ويقصد بهذين البيتين عائشة زوج النبي ﷺ التي التحقت بالجيش الذي وقف أمام علي عليه السلام وتطلب هزيمته بينما لم تكن نتائج الحرب إلا خذلاناً وذلة.

١. شحذ السيوف ونحوه: أحد سنانه / الزبّي: جمع زبية وهي الحفرة في موضع عال يصاد بها الذئب أو الأسد.
٢. السبّة: العار / يوم الجمل: سمي بذلك لركوب عائشة زوجة الرسول ﷺ جملاً يوم جعلت تحرّض المسلمين على قتال علي عليه السلام.
٣. أرهفه: رقعته وحدهه يقال: رهف سيفه / المواضي: السيوف الماضية / انتحى الشيء: قصده / الذبل: الرماح الدقيقة الطويلة.
٤. احتطب الحطب: جمعه.
٥. الحصان: السيدة المصونة ويريد بها عائشة زوجة النبي محمد ﷺ.

يا للرجال ولتيمٍ تدعي
وللقتيل يلزمون دمه
ثأراً «بني أمية» وتنتحل^١
وفيهم القاتل غير من قتل

(م.ن، ج ٣، ص ١١٤)

ثم يبين الشاعر معاذير رجال "تيم" وانهم طالبوا بدم عثمان بينما ليس القاتل إلا واحدا منهم.

حتى إذا دارت رحي بغيهم
وأنجز النكث العذاب فيهم
عاذوا بعفو ماجد معود
فنجت البقيا عليهم من نجا
فاحتج قوم بعد ذاك لهم
فقل منهم من لوى ندامة
وانتزع العامل من قتاته
والحال تُنبى أن ذاك لم يكن
ومنهم من تاب بعد موته
عليهم وسبق السيف العذل
بعد اعتزال منهم بما مطل^٢
للصبر حمال لهم على العلل
وأكل الحديد منهم من أكل
بفاضحات ربها يوم الجدل
عنائه عن المصاع فاعتزل^٣
فرد بالكره فشد فحمل^٤
عن توبة وإنما كان فشل
وليس بعد الموت للمرء عمل

(الديلمي، ج ٣، ص ١١٤)

ويتحدث الشاعر عن معركة "الجمل" وما وقع فيها، فإن رحي بغيهم دارت عليهم ولم تغنهم شيئاً إذ نزل العذاب فيهم لنكثهم بعد أن كان بعيداً عنهم.

ثم إنهم اعتذروا من الإمام علي عليه السلام وهو الحليم المتعود على الصبر فقبل عذرهم، فهرب عدد منهم من المعركة أو بعد أن أصيب بجراحات وبعضهم الآخر قتلوا في المعركة. وأصبحت هذه المعركة حجة لفضيحة قائدها "عائشة" فيما بعد، وقل من ندم على الحضور في الحرب وآثر الابتعاد عن الساحة، وأكثرهم ما تابوا عن ذنبهم بل أصرّوا على الحرب، وبعضهم استمروا على موقفهم وما تابوا إلا بعد انقضاء العمر وفوات الفرصة لتدارك أخطائه الماضية.

مهيار يشير إلى قضية استشهاد الإمام علي عليه السلام قائلاً:

١. ينتحل: يدعي.
٢. مطل فلانا حقّه وبحقّه: أجل موعد الوفاء به مرة بعد الأخرى.
٣. المصاع: المجادلة.
٤. العامل: صدر الرمح وهو ما يلي السنان.

يا لقوم إذ يقتلون "علياً"
ويُسروُن بغضه وهو لا تُق
وهو للمحلّ فيهم قتالٌ
سبَلٌ إلّا بحبّه الأعمالُ

(م.ن، ج ٣، ص ١٦)

يا للعجب من قوم يقومون بقتل إمامهم الذي جاء بالبركات فيهم وأزال الجذب والجوع بحضوره بينهم ويضمرون بغضه في قلوبهم بينما لا تقبل الأعمال إلا بحبه.

مدح الإمام علي عليه السلام

أحبّ الشاعر الإمام علياً عليه السلام ومدحه فبلغه أن بعض حاسديه ينكر مدحه إياه فقال مخاطباً الإمام عليه السلام:

هل يُيلفك يا "أبا الحسن" الذي
من معشرٍ لما مدحتك غِظتُهم
اسمع ليُنصفني انتقامك انهم
لما رأوا ما غاظَ مني شَنَعوا
لا كان إلا ميثاقه
والله ينصب لعنه وعذابه
والحقُّ لم اطلب بمدحك شكرهم
بالقرب منك يهون عندي منهم
جوزيتُ فيك وكان ضدّ جزائيا
فتناوشوا عِرضي وشأنوا شانياً
بالجور راضوني فجتتُك شاكيا
حاشاك أنّي قلتُ فيك مداجيا
من سرّه أن كان بعدك باقيا
مَنْ قال فيك ومَنْ يقول مرأثيا
فيسوءني أن يجعلوه مرأثيا
مَنْ كان برّاً بي فأصبح جافيا

(م.ن، ج ٤، ص ٢٠٢)

ليس من البعيد أن المطاعن التي وجّهت إلى مهيار تدور حول نسبه غير العربي، وأصل دينه المجوسي واتهامه بالكفر بسبب ذمّه بعض الصحابة ومبالغته في وصف أهل البيت عليه السلام بما يرفعهم أحياناً عن مستوى البشرية ويشمّ منه رائحة الرثاء. فيبدو أن أكثر معارضي مهيار الديلمي هم من أهل السنّة، وقد وقفوا أمامه بمطاعنهم هذه.

١. المحل: الجذب.

٢. غاظه: - غيظاً: أغضبه أشدّ الغضب / تناوش القوم في القتال: تناول بعضهم بعضاً بالرمح ولم يتدانوا كلّ التداني / شأنوا: شأنه - شيئاً: شوّهه وعابه.

٣. مداجيا: داجاه: ساتره بالعداوة ولم يبدها له.

٤. المرأثي: أرأى الرجل إذا أظهر علماً صالحاً رياءً وسمعة فهو مرأثي.

٥. مرأثي: ماراه مرأء ومماراة: ناظره وجادله.

ثم يؤكد الشاعر أنه يستمرّ في مدائحه برغم أنف الطاعين وسيجعل معانيها في قوة الجبال وقوافيها في لمعان النجوم، إجلالاً لما فعل الإمام علي عليه السلام في بلاد "فارس" ويصرّح بأن هذا الثناء يقتضيه المحبة والتعصّب لعلي وآله عليه السلام:

وبرغمهم لأسيرنّها شُرْداً
عُرّاً أقْدُ من الجبال معانيا
شكراً لصنعك عند "فارس" أسرتي
وتعصّباً ومودّة لك صيراً
ولأُتبعنّ منها بديئاً تالياً^١
فيها وألتقطُ النجوم قوافيا
وبما سلمتَ تفاؤلاً وأيادياً^٢
في حبك الشيعي من إخوانيا

(م.ن)

أو يقول:

يا صاحبَ الحوض غداً لا حلّلت
ولا تُسلطُ قبضةً التّار على
عاديّة فيك الناسَ لم أحضل بهم
تفرغوا يعترقون غيبة
عدلتُ أن ترضى بأن يسخطَ من
ولو يشقّ البحرُ ثم يلتقي
نفسٌ توأليك عن العذب النّهل^٣
عُنقٍ إليك بالوداد ينفتل^٤
حتى رموني عن يدٍ إلا الأقل
لحمي وفي مدحك عنهم لي شغل^٥
تقلّه الأرضُ عليّ فاعتدل^٦
فلقاه فوقي في هواك لم أبُل

(م.ن، ج ٣، ص ١١٥)

الشاعر يحبّ علياً عليه السلام حباً جمّاً ويرى أن حبه هذا سيورده على حوض الكوثر في يوم الحشر ولا يدخله نار جهنم، فإنه يمدح الإمام علي عليه السلام دون أن يهتم بمطاعن خصومه فيه أو غير ذلك من الأمور.

١. بدئ: أول الشيء، المخلوق، العجيب.

٢. أيادي: واحدها يد: قدرة، نعمة، طاعة.

٣. حلّلت: منعت من الورد / وإلى فلانا: احبه ونصره.

٤. انفتل: التوى.

٥. تفرغ من الشغل: تخلص له / يعترقون: ينزعون ما على العظم من اللحم وهي هنا بمعنى يأكلون.

٦. عدل: عدلاً وعدولاً: مال و(عدل) في أمره عدلاً وعدالة: استقام / أقلّ الشيء: حملة ورفعه / اعتدل: استقام.

وفي موضع آخر يبين الشاعر أنه إن فاته الزمان ليدافع عن حق الإمام عليه السلام بالسيف فما فاته أن يجاهد بالقول فإن اللسان أنفذ من السنان:

جاهدتُ فيك بقولي يوم تختصم الأ
بطل إذ فات سفي يوم تمتص^١
إن اللسان لوصال إلى طرُق
في القلب لا تهديها الذبل الشرع^٢

(م.ن، ج ٢، ص ١٨٤)

ثم يفخر على عاداته بأنه فارسي الأصل، عربي الدين، وبأنه يفع على حب علي عليه السلام حتى أضاء له الحب طريقه إلى الإسلام بعد أن محا ظلمات شكوكه:

آباي في "فارس" والدين دينكم
حقاً لقد طاب لي أس ومرتبِعُ
مازلتُ مذ يفعت سني ألوذُ بكم
حتى محا حقكم شكى وأنتجع^٣

(م.ن، ص ١٨٤)

ثم يقول:

وقد مضت فرطات إن كفلت بها
فرقت عن صحفي البأس الذي جمعوا^٤
"سلمان" فيها شيعي وهو منك إذا الآ
بأء عندك في أبنائهم شفعوا

(م.ن، ص ١٨٤)

يرى الشاعر أنه يستحق بشفاعه علي عليه السلام في ما بدر منه من فرطات قبل إسلامه فإنه يتصل بهم عن طريق "سلمان الفارسي" إذ قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «سلمان منا أهل البيت» (الطبري، ١٨٧٩، ج ٢، ص ٢٣٥). وكما أن الآباء يشفعون لأبناءهم، فإن شفاعه سلمان تشمله لكونه شيعياً فارسياً.

وقد تحدث الشاعر في بعض المواضع عن علاقته بسلمان الفارسي دليلاً على قدم الصلة بين التشيع والفرس، فليس من العجيب أن يحب أهل البيت عليه السلام حباً جمّاً وأخلص لهم الودّ رغم أنهم لا يكونون من جنسه، ولا يستبعد أن يقول في شأن علي عليه السلام:

١. تمتص: تتجادل بالسيف.

٢. الذبل: واحده ذابل: يقال رمح ذابل: دقيق.

٣. يفع الشيء: علا وارتفع، ويفع الغلام: شب وترعرع / أسن: نبتت سنّه. وكبرت سنّه: عمره / أنتجع (فلانا) قصده يطلب معروفه.

٤. فرطات: قال الله تعالى: وكان امره فرطاً وأمره فرطاً أي متروك ترك فيها الطاعة وغفل عنها، ويقال: إياك والفرط في الأمر (ابن المنظور، ١٩٨٨، ج ٤، ص ١٠٨٠).

ركبتُ القوافي ردف شوقي مطيئةً
 إلى غايةٍ من مدحه إن بلغتُها
 وما أنا من تلك المفازة مدركٌ
 ولكن تؤدي الشهد إصبعُ دائي
 تخبُّ بجاري دمعي المترادف^١
 هزأتُ بأذيال الرياح العواصف^٢
 بنفسي ولو عرضتُها للمتألف^٣
 وتعلق ریح المسك راحةً دائف^٣

(الدلمي، ج ٢، ص ٢٦٠)

يعتبر الشاعر هذه الأبيات في وصف الإمام علي عليه السلام شبيهاً بمطيئة يركبها والشوق يلازمه في هذه الطريق وكذلك رغبة ملحة تتنابه دائماً ودموع الشوق جارية على خديه، وعندما يصل إلى الغاية من هذا المدح، فهو يباهي بذلك العواصف والرياح ويهزأ منها باعتبار أنه قد سبقها في هذه المضمار، والشاعر من جانب آخر يجد وادي المدح للإمام الفذ علي عليه السلام وادٍ عميق ولو تعرض له بنفسه لعلَّ الهلاك ينتظره، لأن الغوص في هذا المكان يعرض سالكه للخطر، فهو يعتقد أن المدح هذا لم يف إلا القليل جداً من شخصية الإمام علي عليه السلام التي قلما نرى نظيرها في الإسلام، بل في التاريخ الإنساني.

١. خبُّ - خبًّا وخببياً: عدا.

٢. هزأتُ به - هزءاً وهزوءاً: سخر به أو منه.

٣. علق الشيء الشيء: نشب فيه واستمسك به / الدائف: الخالط الذي يخلط المسك بغيره من الطيب.

النتيجة

أهم النتائج التي قد حصلت عليها هذه المقالة كما يلي:

١. يرى مهيار الديلمي أنه كان من واجب الأمة الإسلامية أن يبايعوا الإمام علياً عليه السلام وحسب، وألا يخطر ببالهم غير هذه المهمة الحاسمة المصيرية.
٢. يؤكد مهيار أن النبي محمداً ﷺ قد نصَّ على ولاية الامام علي عليه السلام في يوم غدِير خم مضافاً الى تلك المناقب والخصال التي كانت للإمام دون الآخرين، وقد أفاد منها الشاعر في إثبات أحقية الإمام علي عليه السلام بالخلافة.
٣. قد اهتم الديلمي بقضية خلافة الإمام علي عليه السلام اهتماماً بالغاً، حيث جعلها محوراً عاماً لأشعاره العلوية وطبعها بلون سياسي أكثر من أن تكون بياناً لأحاسيسه وعواطفه إزاء هذه الشخصية الفذة.
٤. أخذ مهيار الديلمي على بعض أصحاب النبي ﷺ الذين تجاهلوا هذه الحقيقة البينة في حين أن الرسول الله ﷺ لم يكن ليحدث أمراً من عند نفسه وإنما كان يصدع بما يؤمر.
٥. وأخيراً نرى أن الشاعر في أشعاره على اعتقاد بأن ما حدث في واقعة الطف هو امتداد ليوم السقيفة وما جرى في هذه الواقعة من أحداث مؤلمة بالنسبة الى أهل البيت عليهم السلام.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. نهج البلاغة
٣. الإصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (١٩٨٦م). الأغاني. بيروت: دار الكتب العلمية.
٤. الأعملي، علاء الدين (١٩٨٨م). نهج الفصاحة في أدب النبي ﷺ. بيروت: مؤسسه الأعملي للمطبوعات.
٥. الأميني النجفي، عبدالحسين (١٩٧٧م). الغدير في الكتاب والسنة والأدب. بيروت: دار الكتاب العربي.
٦. ابن جبرائيل، شاذان (دون تا). الفضائل. بيروت: مؤسسه الأعملي للمطبوعات.
٧. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (١٩٩٢م). المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. بيروت: دار الكتب العلمية.
٨. ابن خلكان، احمد بن محمد (١٩٧٧م). وفيات الأعيان. بيروت: دار صادر.
٩. ابن شهر آشوب، محمد بن علي (١٩٨٥م). مناقب آل أبي طالب. بيروت: دار الأضواء.
١٠. اعثم الكوفي، ابو محمد احمد (١٩٨٦). الفتوح. بيروت: دار الكتب العلمية.
١١. أنيس، إبراهيم؛ وآخرون (دون تا). المعجم الوسيط. طهران: انتشارات ناصر خسرو.
١٢. الحمداني، ابو فراس (١٩٩٤م). الديوان. شرح: خليل الدويهي. بيروت: دار الكتب العلمية.
١٣. الديلمي، مهيار (١٩٢٥). الديوان. القاهرة: دار الكتب المصرية.
١٤. الدينوري، ابن قتيبة (١٤١٣). الإمامة والسياسة. تحقيق علي شيري. قم: منشورات الشريف الرضي.
١٥. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (١٩٨٦م). تاريخ الخلفاء. بيروت: دار القلم.
١٦. الصفدي، صلاح الدين خليل (١٩٩١م). الوافي بالوفيات. ويسبادن: دار النشر فرانزشتاينر ستوتغارت.
١٧. ضيف، شوقي (١٩٦٣م). العصر الاسلامي. القاهرة: دار المعارف.
١٨. الطبري، محمد بن جرير (١٨٧٩م). تاريخ الطبري. بيروت: مؤسسه الأعملي للمطبوعات.
١٩. الطبرسي، احمد بن علي (١٩٨٣م). الإحتجاج. لبنان: مؤسسه الأعملي للمطبوعات.
٢٠. الكوفي، سليم بن قيس (دون تا). كتاب سليم بن قيس الكوفي. بيروت: مؤسسه الأعملي للمطبوعات.
٢١. المازندراني، ابن شهر آشوب (١٩٨٥م). مناقب آل أبي طالب. بيروت: دار الأضواء.
٢٢. المظفر، محمدرضا (١٩٧٣م). السقيفة. بيروت: مؤسسه الأعملي للمطبوعات.
٢٣. مفيد، محمد بن محمد (١٣٧٧). الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد. طهران: دار الكتب الاسلامية.
٢٤. موسى، محمد علي (١٩٦١م). مهيار الديلمي. بيروت: دار الشرق الجديد.
٢٥. الواقدي، محمد بن عمر (١٣٠٩). فتوح الشام. القاهرة: المطبعة اليمينية.